اجتهادات
الشاعر الذى نفتقده

أنا منذ خمسين عاماً أرقب حال العرب .. وهم يُرعدون .. ولا يُمطرون ..) وهم يدخلون الحروب .. ولا يخرجون). ترى ما الذى كان ممكناً أن يكتبه صاحب هذه الكلمات لو أنه بيننا اليوم، وشاهد ما آلت إليه حال العرب.

كتب الراحل الكبير نزار قبانى هذه الكلمات عام 1994 فى قصيدة (متى يعلنون وفاة العرب؟) التى نزلت كالصاعقة على الرؤوس، ثم نُسيت بسرعة مثلما هى عادة العرب.

كان ذلك قبل 4 سنوات على رحيله. وحين نذكره فى الذكرى العشرين لرحيله، التى تحل غدا، لابد أن نسأل عما يمكن أن يكتبه لو أنه بقى حيا، وشاهد الحروب المشتعلة فى عدد من البلدان العربية، وكيف يقتل العرب بعضهم بعضا فيها. ربما يكتب قصيدة يؤكد فيها أن وفاة العرب حدثت ولم تعد موضع تساؤل. ولكنه ربما يكتب أيضاً ما يعبر عن أمل فى أن تدب فيهم الحياة، ويصبحوا قادرين على حل أزماتهم، ومواجهة الأخطار المحدقة بهم.

امتلك قبانى قدرة فذة على التعبير الشعرى عن تدهور الأوضاع العربية بطريقة صادمة. لم يمض عام ونيف على قصيدة (متى يعلنون وفاة العرب)، حتى كتب قصيدة أخري، اعتبرها البعض قاسية، فى نقد التطبيع مع إسرائيل تحت عنوان «المهرولون». القصيدة قاسية فعلا. يقول فى مطلعها: «سقطت آخر جدران الحياء .. وفرحنا .. ورقصنا .. وتباركنا

بتوقيع سلام الجبناء»، ولكنه توقع فيها تداعيات اتفاق أوسلو على قضية «فلسطين, أو ما سماه «الغزل السرى فى أوسلو.

نشرت «الحياة» القصيدة فى صفحتها الأولي. وكنت حينئذ مديرا لمكتبها بالقاهرة, فأخذتها فى اليوم نفسه إلى الراحل الكبير أيضا نجيب محفوظ، وقرأتها له، وطلبت منه تعليقا، وهو الذى كان أكثر تفاؤلا بعملية السلام. سكت قليلاً ثم قال إنها قصيدة قوية ولكنها تعبر عن موقف ضعيف. لم يكن لدى العرب، فى رأيه، خيار إلا مواصلة السعى إلى حل سلمي. ونشرت تعليق عميد الرواية العربية على قصيدة أمير الشعر العربى، فتوالت المقالات والتعليقات, فوضعت حوارا تلقائيا ثريا بلا ترتيب مسبق شارك فيه عدد من رموز الثقافة والفكر والسياسة فى العالم العربي.

كم نفتقد نزار قبانى فى ذكراه العشرين.